



المستوى 4 الوحدة 4 - الأسبوع 4

النص المسترسل

رحلة السنبلة 4

في صباحٍ دافئٍ، وصَلْتُ مَعَ أَخَوَاتِي إِلَى مَخْبَزٍ صَغِيرٍ، تَتَصَاعَدُ مِنْهُ رَوَائِحُ الْخُبْزِ الطَّازِجِ. وَرَأَيْتُ رَجُلًا بِشَوْشَا يَلْبَسُ مِزْرًا أَبْيَضَ، وَيُرْتَّبُ أَدَوَاتِ الْعَمَلِ بِحُبٍّ.

كَانَ ذَلِكَ هُوَ الْخَبَّازُ. نَظَرْنَا إِلَيْهِ دَافِئَيْنِ، وَقَالَ وَهُوَ يَلْمُسُ الدَّقِيقَ: "أَهْلًا بِكُمْ، أَيُّهَا السُّنْبِلَاتُ الْمَطْحُونَاتُ! كَمْ أَنَا مُمْتَنٌّ لَكُمْ، فَأَنْتُنَّ تَصْنَعْنَ سُرُورَ الْبُيُوتِ."

وَفِيمَا كَانَ يَخْلِطُ الدَّقِيقَ بِالْمَاءِ وَالْمِلْحِ وَالْخَمِيرَةِ، سَأَلْتُهُ بِصَوْتٍ مُرْتَجِفٍ: "أَيُّهَا الْخَبَّازُ... هَلْ سَتُدْخِلُنِي النَّارَ؟ هَلْ سَتُؤَلِّمُنِي؟"

تَوَقَّفَ، ثُمَّ أَنْحَنَى نَحْوَ الْوِعَاءِ، وَهَمَسَ بِصَوْتٍ مُمْتَلِئٍ بِالْعَطْفِ: "قَبْلَ أَنْ أُجِيبَ عَلَى سُؤَالِكَ، أُرِيدُكَ أَنْ تَعْلَمِي أَنَّنِي أَنَا أَيْضًا أَشْعُرُ بِاللَّهِيبِ، أَفْضِي يَوْمِي كُلَّهُ قُرْبَ الْفُرْنِ، وَأَحْرِصُ أَنْ لَا يَحْتَرِقَ فِيهِ شَيْءٌ. أَشْعُرُ بِالْحَرَارَةِ فِي وَجْهِ، وَفِي يَدَيَّ، وَلَكِنِّي أَصْبِرُ، لِأَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ هُنَاكَ مَنْ يَنْتَظِرُ طَعَامًا دَافِئًا."

سَكَتَ قَلِيلًا، ثُمَّ أَضَافَ وَهُوَ يَعْجِنُنِي بِحَنَانٍ: "أَفْهَمُ خَوْفَكَ، وَأَعْلَمُ أَنَّ الدُّخُولَ إِلَى النَّارِ صَعْبٌ، وَلَكِنِّي أَعِدُّكَ إِلَّا أَتْرُكَكَ طَوِيلًا، سَأُخْرِجُكَ فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ، وَسَتَبْقَيْنَ ذَهَبِيَّةً، جَمِيلَةً، طَرِيَّةَ الْقَلْبِ."

فَقُلْتُ لَهُ وَقَلْبِي يَخْفِقُ: "مَا زِلْتُ خَائِفَةً مِنَ الْآلَمِ!؟"

إِبْتَسَمَ، وَقَالَ: "أَتَفْهَمُكَ، وَلَكِنْ لَا عَلَيْكَ! سَيَمُرُّ الْآلَمُ سَرِيعًا، وَمَا إِنْ يَتِمَّكَ الرِّضَا مِنْ قَلْبِكَ، حَتَّى تَشْعُرِي بِالسَّلَامِ. فَاللَّهُ رَحِيمٌ، وَالرِّضَا يُخَفِّفُ كُلَّ شَيْءٍ."



حِينَهَا هَمَسْتُ فِي نَفْسِي: "سَأَصْبِرُ... مِنْ أَجْلِ مَنْ سَيَأْكُلُنِي، وَيَسْتَفِيدُ مِنِّي النَّاسُ، وَيَحْمَدُونَ اللَّهَ عَلَيَّ."

دَخَلْتُ الْفُرْنَ، فَشَعَرْتُ بِلَسَعَةٍ كَأَنَّهَا دَمَعَةٌ سَاخِنَةٌ عَلَى خَدِّي. وَبَيْنَ لَهَيْبٍ وَدُعَاءٍ، غَلَبَنِي رِضًا جَمِيلٌ: إِنَّهُ الرِّضَا بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ.
حِينَذَاكَ، بَدَأَ الْأَلَمُ يَتَلَاشَى، وَخَفَّ الْأَلَمُ.

فَجَاءَتْ، فَتَحَ بَابُ الْفُرْنِ، وَإِذْ بِالْخَبَازِ يُخْرِجُنِي بِسُرْعَةٍ، وَيَصْعُنِي فِي صَفٍّ خَاصٍّ، وَهُوَ يَقُولُ:
"اسْتَرِيحِي الْآنَ، وَأَنْتَظِرِي مَنْ سَيَشْتَرِيكِ... سَتُسْعِدِينَ أُسْرَةَ بِرَائِحَتِكَ الزَّكِيَّةِ."

نَظَرْتُ إِلَى نَفْسِي، فَرَأَيْتُنِي حَقًّا طَرِيَّةً مِثْلَمَا وَصَفَنِي، لَوْنِي يُشَبِّهُ الذَّهَبَ، وَرَائِحَتِي شَهِيَّةً.
وَبَيْنَمَا كُنْتُ أَسْتَرِيحُ، رَأَيْتُ الْخَبَازَ يَأْخُذُ كَمِيَّةً أُخْرَى مِنَ الدَّقِيقِ، وَيَصْنَعُ مِنْهَا أَشْكَالًا مُتَنَوِّعَةً:
هِلَالِيَّاتٍ وَفَطَائِرَ وَكَعْكَأَ طَرِيًّا.

شَعَرْتُ بِالذُّهُولِ، وَقُلْتُ فِي نَفْسِي: "كَمْ مِنَ الْخَيْرِ يَخْرُجُ مِنَ السَّنَابِلِ! لَوْلَانَا، لَمَا تَذَوَّقَ النَّاسُ كُلَّ هَذِهِ الْمَأْكُولَاتِ اللَّذِيذَةِ."

وَفَجْأَةً، دَخَلَ رَجُلٌ، فَنَظَرَ نَحْوِي، وَقَالَ: "أُرِيدُ هَذِهِ الْخُبْزَةَ الشَّهِيَّةَ." فَوَضَعَنِي الْخَبَازُ فِي كَيْسٍ صَغِيرٍ، وَسَلَّمَنِي إِلَيْهِ بِبَسْمَةٍ.

حَمَلَنِي الرَّجُلُ، وَسَارَ فِي أَرْقَةِ الْقَرْيَةِ، ثُمَّ دَخَلَ بَيْتًا مُتَوَاضِعًا، تَجَلَسَ فِيهِ زَوْجَتُهُ وَطِفْلَانِ صَغِيرَانِ. قَطَعَنِي بِسَكِينٍ نَاعِمٍ، ثُمَّ قَدَّمَنِي عَلَى الْمَائِدَةِ، وَهُوَ يَقُولُ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَزَقَنَا هَذَا الْخُبْزَ."

وَفِي كُلِّ لُقْمَةٍ كَانُوا يَأْكُلُونَهَا، كُنْتُ أَشْعُرُ أَنَّي أَسْكُنُ أَفْوَاهَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ. شَعَرْتُ أَنَّ رِحْلَتِي كَانَتْ جَمِيلَةً، وَأَنَّ أَثْرِي لَمْ يَذْهَبْ هَبَاءً مَنثورًا.

فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، عَلِمْتُ أَنَّ الْإِيثَارَ هُوَ مِنْ أَتْبَلِ الْقِيَمِ، فَهُوَ يُبْقِينَا فِي قُلُوبِ النَّاسِ أَجْمَعِينَ لِأَنَّنا فَضَّلْنَاهُمْ عَلَى أَنْفُسِنَا.



المستوى 4

الوحدة 4 - الأسبوع 4

النص المسترسل

رحلة السُّبَّلة 4

